



من محور الأشياء الى مدار الاطوره



بقلم ثابت عبد الرزاق

حاصرتني العيون وأوجاعها والزمان الجريح «

« أرفع يدي احتجاجا »

وفي شعره احتجاج على وجود ناقص ، ومصير محكوم بالخيبه
والانكسار :

« وها أنا

أقيم بين الزمن الثالث والمركبة المحطمة

تظنني سارية الحداد

بفيئها الساقط من نواحيها المكتوم

أرقب حثفي في عيون الفرس المهزوم

مكفنا براية الاتي ..

من الرماد « أرفع يدي احتجاجا »

وفيه حس طاع بفرديته :

« لكني وحدي ، كنت أرى وجه الثعبان »

« لكني وحدي ، كنت الضامك »

وهو قلما يتحمس لشيء قدر تمسه أن يحل الشعر الى حلم

وأسطوره ، بل تجده أحيانا مشلول الإرادة .. يعاني الكثير من

خيارين أحلاهما مر واتجاهين كلاهما خاطئان :

« أوجز خطاك

ففي الخطوة الموت ، في الوقفة الموت »

و « ها انا من شاهق الغريتين

أصالح بين الصدى والسكوت

وها انت يا سيدي البين بين »

بيد أن الشاعر لا يتشاعم أو ينهار .. انما نجد في معظم

قصائده معادلا لكل مظاهر الخيبة والاسى : عوالم الفرح ، والمدن

الوضيئة ، التي لا تطفئها المنهات ولا تطمس معالمها انكسارات

الواقع ، وما قصائده الا رحيل متواصل عبر الخنادق الملقومة للعثور

على تلك الاشعة الهاربة :

« أجلس في المركبة العتيقة

بين صرير الخشب المنهار

والغبار ،

أقرأ في الكف عن الاتي

وعن مدينتي المفقودة « أرفع يدي احتجاجا »

وهي مدينة ذات ملامح اسطورية :

« أرى خلل الرماد وميض نار

ويوشك أن يصير دمي صداها

وألمس سرها علنا ، فتخبو

وأخبو ، حين تلمسني يداها

فأجهش بالبكاء لان عيني

تحن الى سماء لا تراها « أرفع يدي احتجاجا »

بل هو غالبا ما يخلق جوا أشبه بالحلم .. كجزء من حلولة

التي يحتمي بها :

اذا كان الشعر في جوهره (رؤية روحية) وسعيًا لترجمة
الواقع الى مثال ، كما يقول كولرج ، فان هذا القول يصدق الى
حد بعيد على قصائد فوزي كريم ، ان القصيدة لدى فوزي ، أشبه
بشهوة روحية منغمة عبر الخنادق الملقومة بحثا عن النور ،
ارتعاشة موقعة متولدة من اصطدام الذات بما هي حلم وفطرة
بالعالم لاكتشاف « عالم يظل أبدا في حاجة الى الكشف »
رينيه شار .

كما هي أيضا شبكة سحرية لصيد البهجة المتخفية وراء
انكسارات الواقع وخطوطه العرضية فلا عجب ان أغلبها يستقي
وهجه من ذلك العالم السري المخبوء وراء القشرة الخارجية للأشياء ،
ومن تلك « الأبار الشبيهة البائدة »

لا تكمن خصوصية قصائد فوزي ، في كونها تنظر الى الموجودات
على أنها أشياء فقط ، ولا في تجسيدها المجردات حسب .. انما
تكمن خصوصيتها في قدرتها الرائعة على نقل تلك الاشياء الى
عالم الاسطورة والخيال .

في قصائد فوزي ، دهشة أشبه بدهشة الاطفال امام العالم
« نتلمس رعشتنا » « نرتد دوائر مأخوذون بجاه الخوف » « ولهونا
بأصابع غفلتنا عن سورة ماء » ، وفي قصائده حين الى بكارة
الأشياء وبراعتها : « نتعثر في وهم براءتنا المنسية » وهيام أشبه

بهيام المتصوفة لمعانقة ما هو أكثر جوهريه وسحرا :

« كنا نتأهب للسحر المخبوء وراء الساعة »

« كيف يلامس نهرا من زيتون ، نهرا من شرفات الروح ومن

أبواب مفتوحة »

قلما تنفتح قصائد فوزي على جزئيات الواقع العادية ، واذا
يغترب الشاعر عما هو زائف وغير أصيل ، فانه لا يتبنى رفضا
وجوديا مطلقا ، انما هو يعقد مصالحة ترتفع الى مستوى العشق
الصوفي مع ما هو جوهري وسري وبهيج ، وهو عندما يهرب من
الروايات الحادة ، والنتوءات العرضية ، فانما ليلتجئ الى عوالم
أكثر سحرا ودهشة كما يفعل الكثير من الرمزيين ، ان أبيات ريلكه:
« ترهلين عني أيتها الساعة ، وبضربة جناحك تفتحين

الجراح ، وحين ما أفعل بقمي ؟ بليلي ؟ بنهاري ؟

ما من حبيبة لي ، ولا من بيت ولا من مكان أعيش فيه ،

وكل ما استسلم له يفتني ويهجرني ... »

ان هذه الأبيات التي بدأ بها الشاعر مجموعته الثانية « أرفع
يدي احتجاجا » تلقي ضوءا على أبعاد غربته الاجتماعية .. أليس
يهمس بأنه عار بلا انيس ، وأنه كائن في عالم يتنكر له باستمرار
« أنا منذ السابعة ، مبحر ، دون شراع أو علامة » ، من هنا كانت
الكأبة لديه محورا هاما تمر من خلاله كل لحظات فرحه وبهجته :

« يا بلاد الظما ،

والشجيرات خلف الظما تستريح

لم أعد سلما

المقطع الاخير من « جنون من حجر » لا تجد شيئاً يصمد عندما ينتهي كل شيء :

« عندما ينتهي كل شيء

عندما تنتهي كل ذاكرة من دم الذكرى
أو يمر فتى بيننا مائل للشفاء من الصب
أيتها الجارة الطيبة

حين نصغي معا في الخفاء ، ونحن كتومين
حين نصغي لخطو فتى مائل للشفاء من الحب
أو نستجيب له عن طواعية
حين لا نقرب الضوف أو نرتديه
فذلك يعني المبراة ، أيتها الجارة الطيبة

عندما ينتهي كل شيء « « جنون من حجر »

ان فوزي يحاول عبر الحلم ، عبر الاسطورة ، أن يضيف لحياته معنى يسكرها يجعله أكثر توازنا ، وأقدر على العيش في عالم محفوف بالرعب ،

وإذا كان فوزي في ديوانه الاول « حيث تبدأ الاشياء » وبعض قصائد ديوانه الثاني يقف على محور الاشياء يرقبها ويتأملها ، فهو في ديوانه الاخير يخرق القشرة الخارجية للاشياء ، ليصغي الى ايقاعها ، كما وانه يحاول أن يبصر خلال حلمه الطويل شعاعاً من أمل وعبر مشاعر الصداقة والحب طريقاً للخلاص ، في معظم قصائد فوزي يتسرب صراع خفي ، يتوزع أغلب قصائده الاحداث الطموح والعجز عن تحقيقه ، الرغبة في الابحار ، وارادة معطلة لا تستطيع الا الابحار داخل ذاته :

« اقسمت أن تختفي في تضاريس احلامك الملوحة »

لقد ظل المس الفردي عالياً « صرت صبي التواريخ جاوزتهم » كما ظلت فيه خيبات تتوالى وكواكب تنكفي ، واشياء كثيرة تنتهي :

« ما أنجبت غير طفل

تحدث في المهدي عن كوكب سوف يأتي ليسقط

عن كوكب سوف يأتي ليسقط ، عن كوكب

سوف يأتي ليسقط ثالثة في خطانا

ويهدأ فيها لنسقط عن كوكب « « «

قد لا تشد كل قارئ الاجواء التي تثيرها قصائد فوزي اما

لان هذه التجارب ذات خصوصية وهي تشبه الى حد ما مجاهرات المتصوفة مما يجعلها صعبة لكل قارئ ، اذ ان الكثير من القراء لا يملك رصيذاً من الرموز والمعاناة المشتركة ، تمكنه من التعاطف مع حالات نادرة كتلك التي عاشها فوزي ، أو لان فوزي أحياناً لا يستطيع أن يخلق المعادل المناسب الذي يقذف القارئ الى اجواء تجربته ، فهو مثلاً بدلاً من ان يجعلك تعيش حالات الفرح والدهشة ، يخبرك انه « مندهش » و « مأخوذ » و « فرح » حتى قصيدة « تجاوز » التي تعد من القصائد الجميلة في ديوانه الاخير بكثافتها ورشاقة ألفاظها ، تثيرهما فردياً خاصاً نتوصل

اليه عبر نتائج تملئ علينا دون ان نشاركه بالضرورة احساسه تلك ، كتب و.ه. أودن مرة يقول : تسأل الشاب : لماذا تريد أن تكتب شعراً ؟ فإذا أجابك : لدي أشياء هامة أريد أن أقولها فهو ليس بشاعر ، ولكن ان قال لك : اريد أن ألم بالكلمات ، اصغي لما تقول ، فقد يصبح شاعراً ، ولو استنطقنا أغلب قصائد فوزي كريم لوجدناها تقدم لنا اجابة أودن نفسها ، لا يعني أن قصيدة فوزي لا تقدم سوى مغامرة شكلية ، فلقد اجتازت القصيدة لديه ، خصوصاً في ديوانه الاخير ، مرحلة القصيدة « المضمون » والقصيدة « الشكل » الى القصيدة « الحلم » التي يتحول فيها المضمون الى شكل ،

« تخوم سماوية تحت ظلي
إذا شئت ، طوقتها في سوار
وان شئت ، كانت مداري
أخط بها نخلة للسلام
وظلاً وعاشقة في جواربي
وقوس سحاب ألون فيه الكلام
وان شئت ، من تعب ، أن أغادر
هيات ربا وديعا يسامرني
ويحدثني عن زماني الصغير
وعن حلم دافئ في انتظاري
فأفرح

أفرح حتى أنام « « ارفع يدي احتجاجاً »

ورغم اعتراض الشاعر على مظاهر النقص في الواقع ، فهو يكاد أن ينسيك ذلك أمام اقاليم الفرح والبهجة التي يفتحها أمام عينيك ، ان صرخة احتجاجه تكاد أن تضيع في تلك العوالم السرية الآسرة ، حتى انك تحس بأن الشاعر قد عقد صلحه الابدي مع الواقع ، بعيداً عن النعوت ، بعيداً عن انكساراته ، انه كما يتبدى اخيراً شبه راض عن غربته ، حتى اللفاظ والصياغات التي يحرك بها أوجاعه ومتاعبه تظل خفيفة شهية ، نحس معها بأن فوزي قد بنى قنطرة بين متناقضاته وبالتالي استطاع أن يرأب صدعه بين واقعه المعاش وطموحاته عن طريق خلاصات هي أشبه بخلاصات الرمزيين ،

فليصاعه رائحة السحر :

« كم كان جميلاً أن أمحو

من أثري الخطوة وافوت

أتنشق سحر ضياعي ، وأغني

يا وطني ، الغربة ، يا وطني

تمر ، ورغيف ، وأموت « « ارفع يدي احتجاجاً »

ولاوجاعه سحر « مشينا على سحر أوجاعنا »

ولللظلام وهج مثير « ارتميت بوهج الظلام المغامر »

والحزن مظلة « صار الحزن لي مظلة ، أنام في ظلالها ،

أحلم في ظلالها »

كما أن لكل مظاهر الاسى والحزن نكهة شهية مغرية :

« الدمع الشهي » « هو الكوكب الشارد ، العذب حزني »

« هو الحزن لي زورق من سلال الفواكه ، يشتاقني »

غير أن فوزي في ديوانه « جنون من حجر » تهدأ لهجته ، ويترسب فيه ما كان طافياً ، حزنه يستحيل الى مرارة ، وخيبته الى قنوط ، وإذا بالكثير من عوالمه الوضيئة تختفي فالجو الكئيب الذي يخيم على مقطع « آخرة الوهشة » في ديوانه ارفع يدي احتجاجاً :

« أبني معك الليلة بابا

كي ندخله في آخرة الوهشة

نمتد به ظلين

ونسبح للنور العابر

أن يوقفنا ، نحن الاثنين

نتلمس رعشنا باناة المخدولين

وبقايانا

ليبيل الواحد منا عطشه

نتلمس لآخرة الموتى

هل نحن هنا « « ارفع يدي احتجاجاً »

يستمر نفسه في مقطع « عندما ينتهي كل شيء » في ديوانه « جنون من حجر » مع فأرق ، أن الاول يتشبه بحلم ما وأن في رهنه تلك شيئاً من طعم اللذة عبر الخوف ، بينهما في

تكررت عدة مرات في قصيدة « حسين مروان » استطاعت أن تكسر حدود المكان الضيقة :

« وكانت شوارع بغداد تمتد ، شمس تذوب على حافة السور والسمور يمتد ، والنخل ما كان نخلا وصار ، يحركه عاشق في الرصافة ، والنخل يمتد ، يا صاحبي أفيقا على وجع نام بين الرصافة والجسر والجسر يمتد » « جنون من حجر »

كما أن تكرار لفظة « كوكب يسقط » عمق الاحساس بالغيبية :

« ما انجبت غير طفل تحدث في المهمد عن كوكب سوف يأتي ليسقط عن كوكب سوف يأتي ليسقط ، عن كوكب سوف يأتي ليسقط نالشة في خطانا

ويهدأ فيها لنسقط عن كوكب » « جنون من حجر »

ان بناء القصيدة لدى فوزي قلما يتخذ شكلا محددًا ، فهو في ديوانيه الاولين وأغلب قصائده المطولة ، اعتمد البناء المنفتح الذي يتدفق وفق موجاته النفسية ، بينما تتخذ قصائد ديوانه الاخير شكل البناء الهرمي ، تبدأ القصيدة في الغالب بحركة معينة ، تتصاعد ، تبلغ درجة التحول ، ثم تستدير لتنتهي بحركة قد تكون لحظة تنوير كاشفة لحركة البداية أو مناقضة لها أو مؤكدة لها تريد أن تقول . .

فقصيدة « تجاوز » مثلا تبدأ :

« لقد كنت وحدك ، والارض دارت ، فدرت ،
وها انت تسكنهم واحدا واحدا »

تنتهي بحركة مناقضة لحركة البداية تماما غير انها تستعير الفاظها :

« ما دارت الارض لكنهم فاتموك بها ، فاستدرت
وها أنت تلفهم واحدا واحدا »

لم تكن لغة فوزي كريم اداة باردة للتوصيل ولا الواحا زجاجية لعبور الرؤية انما هي لغة رنانة ، وضاعة ، متوترة ، تتحرك وفق هاجس صوتي ، يفجر كل طاقتها الياحائية والموسيقية ، وهي مشحونة أبدا بعوالم سحرية أسرة ، كما أن فيها « الكثير من ملامح اللغة البدائية » ولا تخفي الجهد الذي يبذله فوزي من اجل ان يعيد للغة بعدها الصوري الحسي .

غير أن لغة ديوانه الاخير ، وان افتقدت شيئا من طاقتها الموسيقية التي تميز بها ديوانه : الاول والثاني ، أصبحت أكثر كثافة ، وأثقل شحنة ، انها هنا أصبحت دون قرائن مألوفة ، دون تاريخ تقليدي ، تفيض وتتدفق تحت ضغط حالة غير اعتيادية من المعاناة مما يحتاج من القارئ جهدا غير قليل ليتسنى له التعامل معها ، كما أن له حساسية عالية ازاء المفردة ذات الطعم الأسر ، لذلك قلما تنفلت منه الفاظ وعرة نابية أو صياغات ذات وقع لا يناسب مناخ تجربته .

ان استيعاب الشاعر للتراث الثقافي امد قصائده بقدرة عالية على الحركة والامتداد والتواصل مع الرصيد الثقافي الذي يمتلكه بعض قرائه ، باستثناء بعض القصائد التي تفتت فيها اللغة النثرية والتجريدات الذهنية كقصيدة « ثلاثة مقاطع في الماء » و « هدأت عبر النوم والمياه والكتابة » في ديوانه : ارفع يدي احتجاجا ، و « ابتعد مأخوذا في الضوء » في ديوانه الاخير تسربت اليها ايقاعات صاخبة ، ان فوزي معني أبدا أن يوفر لقصائده خصوصا في ديوانيه الاولين البعد الموسيقي سواء أكان ذلك عن طريق جرس المفردة أو التكرار أو القافية ، مما يمدّها بالفنى النغمي والتنوع الايقاعي ويجعلها تنطلق رغم تمزق اجوائها على أجنحة سحرية ، بينما اكتفت لغة ديوانه « جنون من حجر » بموسيقاها الداخلية ، وايقاع ما ترمز اليه . .

لقد استعمل الشاعر التكرار بنجاح في أكثر من موضع ، فتكرار لفظة : « أفرح » في قراءة للنوم : « وأفرح أفرح حتى أنام » أوحى بفرح طفولي بهيج ، وتكرار لفظة « يمتد » التي

دار الآداب تقدم

الثلج يحترق

رواية بقلم

ريجيس دوبريه

في هذه الرواية ، يقفز مؤلف « ثورة في الثورة » الى الصف الاول من الروائيين الفرنسيين المعاصرين ، فينال أخيرا « جائزة غمينا » المشهورة تقديرا لموهبته وفننه .

و « الثلج يحترق » قصة رجل وامرأة ، بوريس وايميليا ، يبحث أحدهما عن الآخر ، فيلتقي به ثم يضيعه ، ثم يلتقي به ثانية ، ويحن اليه ويفقده ، عبر أوروبا وأميركا . في النضال والعذاب والموت والقتل . من أجل حب البشر .

أختارت ايميليا ، ابنة جبال النمسا ، ان تقا تل من

أجل العدالة . وتلتقي في هافانا بشاب فرنسي ، بوريس ، نجا من ثورة أخرى ، فتسحره ، ولكنها تحب زعيما ثوريا ، هو كارلوس ، وتذهب فتعيش معه في « لاباز » ، في الخفاء والفرح ، الى اليوم الذي تفتاله الشرطة البوليفية . وتفقد ايميليا كل شيء : الرجل الذي تحبه ، والطفل الذي تنتظره ، والمعركة التي تخوضها ، ولكنها لا تترك الدرب الذي سلكته ، فمن كوبا الى التشيلي ، ومن بوليفيا الى انكلترا ، ومن باريس الى هامبورغ ، تضطلع بقدرها حتى النهاية .

قدر المرأة المناضلة .

ان « التاريخ » يسكن قصة هؤلاء الابطال . فهو لحمهم ، وعذابهم ، والمهم . ان سعادة بوريس وايميليا مستحيلة ، ولكن أناسا آخرين سيكونون يوما ، بفضلها ، أقل شقاء .

ان هذه الرواية أغنية حب في مأساة عصرنا . تؤكد ارادة للحياة وللنضال .

يصدر في الشهر القادم

حادة لتغيير الواقع او تبديله .. تظل قيمتها العليا في سعيها لتوسيع مداركنا وتوسيع حس العيش فينا .. وبالتالي حرصها ان تكون بشكل في الاشكال نبا عن الواقع .. والشاعر وان لم يأت لنا بالكثير مما نتوقعه ، فقد امتعنا بسمر رحلته ايما امتاع .. ان قصيدة فوزي التي اصطادت لنا بهجة والانكسار واللحظات الاكثر خصوصية مطالبة بان توسع من آفاق بهجتنا وتجربتنا الاكثر اهمية .

بغداد

صدر حديثاً :

زوربا

الرواية الشهيرة لـ

نيكوس كازانتزاكي

بعد غيابها طويلا عن السوق

ترجمة جورج طرابيشي

الشك

الرواية الشهيرة لـ

كولن ولسن

التي كانت تنقص مجموعته

الروائية الكاملة

صدرنا حديثا

في طبعة جديدة

عن دار الآداب

هكذا « الفصل الاخر » وقصيدة « أوراق من خريف مفاجيء » و « دوار العصور » و « موت حسين مروان » والمقطع الاخير من « شاعر سرقتة الخيول » أما القصائد المطولة ذات المقاطع المتعددة فأغلبها يعتمد البناء المنفتح .. لا تشد هذه المقاطع وحدة عضوية .. غير انها في الغالب يشدها جو نفسي يكاد أن يكون واحدا .. فقصيدة « ماوى لكل الظلال » تنهي ما تريد أن تقول في الابيات الاولى وما يتبقى فهي مجموعة من الاغاني والتداعيات .. حتى قصيدة « حسين مروان » رغم انها تتحرك على محور مأساوي عنيف .. فبالامكان أن تصذف منها أكثر من بيت دون أن يغير ذلك شيئا ..

الشعر لدى فوزي .. أغنية روحية .. فانه لا يشغله أن يكتبه على شكل قصة أو دراما .. وهو قلما يلجأ الى الحوار الا حواراه مع نفسه باستثناء بعض مقاطع « قراءة للتسول » وقصيدة « حسين مروان » ومقاطع أخرى استعمل الحوار خلالها بنجاح . ان فوزي وفي قصائده الاحداث بدأ يكثر من ادخال تنويعات كثيرة على بناء قصيدته .. فهو قد يبدأ بالتقرير ثم ينتقل فجأة الى الاستفهام ومن الماضي الى الحاضر .. مما منح قصيدته حركة غير عادية من التوتر .. وقدرة على استيعاب معاناة متفردة :

« طاوعت نجما بعيدا تغور .. لم تلتفت ! »

« متى يترث هذا القطيع من الهم ؟ »

وكثيرا ما يستفيد الشاعر من « سيناريو » السينما في أسر لقطات ومناظر عابرة يدخلها بذكاء في نسيج تجربته الشعرية . انظر « وطن الاسرار » ، « قراءة للوجه الاخر » . كما أن فوزي رسام بارع وخالق مناخات .. وهو غالبا ما يأسر لقطه في البداية تهيباً للدخول الى جو القصيدة ، ان لم تشكل هذه اللفظة مفتاح سر أغلب قصائده . فقصيدة « ماوى لكل الظلال » تبدأ بلقطة خاطفة هكذا فجأة :

« جنود يعودون اسرى ، أمام اتهاماتنا »

واذا بهذه اللقطة .. تصبح محورا تدور عليه القصيدة .. ان قصيدة « موت حسين مروان » لوحة فنية متكاملة مفعمة بالالوان :

« جليد على الارض

في الافق طير

يضيء جناحيه برد الجليد

يطلق لكن رعشته تستبيه

فينصل جزءا فجزءا » .

فالجليد وان كان يرمز لضغوط الحياة الاجتماعية والنفسية والاقتصادية وكل مؤشرات الجفاف والذبول .. فانه يوحي ايضا بتشكيلة رائعة من جمال الارض ومغرياتها ، طائر يستوحي القه ونصاعته من ذلك الجليد ، يخلق ، يطمح أن يرتفع عاليا ، لكن الى اين ؟ فضغوط الارض لا تدعه يفلت ، يشده في الخارج جليد وفي الداخل مرثية لا يستطيع منها فكاكا .

في قصائد فوزي كريم شيء من مناخات ادونيس ، الاحساس بالحصرة والتفرد والشهادة والنبوءة وهي ايضا هموم اغلب الرمزيين وفي ديوانيه الاوليين شيء من حركة لغته ونمو صورته خصوصا في قصيدتي « شجرة الحلم » و « هدأت عبر النوم واليهاب والكآبة » غير اننا نجد فوزي كريم اكثر استيحاء لاجواء الطفولة المائلة بالفرح والبراءة واكثر دهشة وانبهارا امام العالم .. بينما دهشة ادونيس هي اقرب الى دهشة الحكم والرجل الخبير .

لا شك ان قصائد فوزي استطاعت ان تقذف القارئ خارج حدود لحظته العابرة ليعانق ما هو اكثر بهجة واكثر خصوصية .. كما اننا وان لم نجد قضية معلنة تستقطب صورته وافكاره ، او رغبة